فصول ملخصة في الفلسفة الألمانية

٢ – تطور الحركة الفلسفية في ألمانيا

الناحية الإيجابية من مذهب نيتشه

السوبرمان

أو الانسان الأعلى

للأستاذ خليل هنداوي

لا ينبغي للعاقل أن يكون قاسياً على نفسه فحسب ، ليكن قاسياً على الآخرين أيضاً لا يحفل بهدوء ولا بسلام ؛ هو يدرك أن الانسانية لا تنشط نحو غاية معينة معلومة ؛ ولكنه يرى كل شيء في استحالة وتطور ؛ يرى من واجب الحياة نفسها أن تعمل على أن تفوق نفسها ، ويدرك أن الانسان ليس من حقه أن يمال نفسه بأنه بلغ المرفأ سالماً . ليكن كل سلام عنده ذريعة لحرب جديدة ، ولتكن حياته طافحة بالحوادث العظام ؛ هو لا يتحرى عن السعادة ولا يجهل أن الفرح والحزن هما توأمان متقارنان . وفي استطاعة الانسان أن يجوز الحياة بدون فرح كبير يمروه ، أو شقاء كبير يغزوه ، على أن ينقص من قوة حيويته . أما الذي يريد أن يتذوق الأفراح الكبيرة فمن واجبه أن يعرف الأحزان الكبيرة ، إذ كل ارتجاج في ناحية يقابله ارتجاج في ناحية أخرى . « أما خالق القيم المؤمن بالحياة ، من يريد الحياة عنيفة قوية ما شاءت القوة ، فهو يريد أن تكون الارتجاجات واسعة حول نقطة الموازنة ؛ يريد أن يعرف القمم العالية للسعادة والشقاء . يريد أن يعرف الانتصارات المسكرة والهزائم الشنيعة . يجب عليه أن يمشي في وقت واحد إلى النصر والى الاندثار . وزرادشت ذاته قد هلك حين بلغ « قمة » وجوده . والسوبرمان هو – في وقت واحد – الظفر اللامع والاندثار القوي للانسان

وبينما ينبغي للعاقل أن يكون قاسياً على نفسه ، لا يلتوي إزاء الألم ، ينبغي له كذلك أن يكون قاسياً على الآخرين ؛ هنالك مصائب وآلام يُعد مخففها فاقداً للانسانية ، وهنالك منحطون ناقصون ، جاءوا الحياة اختلاساً ، فلا يجوز تأخير فنائهم !

يقول زرادشت : « في كل مكان ترن أصوات الذين يعظون بالموت ، والأرض مفعمة بالذين يجب أن يوعظوا بالموت ، أو « بالحياة الأبدية » حتى يقلعوا عن الحياة سراعاً . وللمتشائمين والشكوكيين والمنحطين الذين يئنون ويقولون «ما الحياة إلا شقاء» ، لهؤلاء يجب أن يقول العاقل « إذن ! ضعوا حياتكم وآلامكم حداً تنتهي عنده حياتكم وآلامكم ، ولتكن شريعتكم مبنية على هذه الكلمة « الانتحار واجب ، والانهزام من الحياة واجب » ، إذ لا ينبغي للأرض أن تغدو دارا آهلة بالرضى والبأساء ، حيث يفنى الانسان الخالص الجوهر سأماً وشفقة . إذا أردنا أن نستنقذ السلالات الآتية من مشاهد الفاقة والشناعة فلنترك الموت ينزل بمن هو ناضج للموت . ولتكن فينا جرأة على ألا نصرف الساقطين عن السقوط ؛ لندفعهم ولنقذف بهم قذفاً حتى يهووا سريعاً . ينبغي للعاقل أن يعرف كيف يتحمل مشهد الألم عند الآخرين ، وأن يعرف كيف « يؤلم » ويبث الألم دون أن تجد الشفقة إلى قلبه سبيلا

هذا هو ما تطلبه النفس العظيمة . يقول زرادشت : « أبالغ أنت شيئاً عظيما إذا لم تشعر بقوتك وارادتك التي تعاقب بآلام كبيرة . عرفانك أن تتألم ، هذا شيء حقير ؛ فالنساء الضعيفات والعبيد يصبحون أسيادا في فن الألم . ولكن ثبات جأشك وعدم انحنائك أمام المصائب المؤلمة والصيحات المؤلمة ، هذان هما مظهر العظمة وسرها الصريح »

ينبغي للعاقل أن يتعيف – في كل فصول حياته – بطهارة الطفل اللاعب ، وصفاء الراقص الباسم ، وهناء اللاعب المجدود ، وفي مثل « الاستحالات الثلاثة للروح » ينبئ زرادشت بأن النفس الانسانية يجب أن تكون في استحالتها الأولى « بعيرا » يحتمل بصبر أثقل الأعباء على ظهره ، حتى يستطيع أن يجمع الشيء الكثير من التجارب ، ثم يستحيل « البعير أسدا » يجأر قائلا : « أنا أريد ! » ويتوعد بمخالبه الحادة كل من يحاول العبث بحريته . يجب عليه أن ينتصر على تنين الشريعة المكتوب على كل جزء من جسده بأحرف ملتهبة « يجب عليك ! » ثم يسرع في نزع أثقال المثل الأعلى والحقيقة والخير عن ظهره

مما كان يظن حمله خيراً له ، وأخيراً ، لكي يستطيع أن يدخل في دور « الانتاج والابداع للقيم الجديدة » بعد تهديم القيم القديمة ، يجب عليه أن يستحيل طفلا يلهو ويلعب ؛ « إن الطفل هو صفاء ونسيان ، هو ابتداء ، هو لعبة ، هو دولاب يدور بنفسه حول نفسه » . وهكذا يجب على النفس التي تتوق إلى الصمود فوق قمم الحكمة أن تتعلم أن تلعب ، وأن تفرح وتمرح طاهرة صافية ، يجب أن تكون خفيفة غير واعية تنعتق من التشاؤم والكآبة ، ومن كل ما يجعل حياتها سحابة دكناء

تقول الشريعة القديمة : « ويل لمن يضحك » ! وهذا القول عند زرادشت منكر قبيح . أما العاقل فيجب عليه أن يضحك الضحكة الالهية ؛ يجب أن يدنو من محجته وغايته بخطوات خفيفة راقصة طائرة ، لا بليدة نادمة ؛ إنه يتعزى بالضحك عن نقصه ؛ إنه بالرقص والطيران يجوز مستنقعات الكآبة كالرياح العاصفة . يجب على الانسان أن يتعلم الرقص بنفسه والضحك بنفسه وأن يرتفع وأن يسمو فوق نفسه ، وأن تفوق نفسه نفسه على أجنحة الضحك والرقص

يقول زرادشت : « إن إكليل الضحك ، هذا الاكليل من الورد ، ضفرته أنا على رأسي ، وأنا قدست ضحكتي المرحة . إن إكليل الضحك ، هذا الاكليل من الورد ، أُلقي به اليكم يا رفاقي ! أنا أقدس الضحك أيها الرجال السامون ، فتعلموا أن تضحكوا »

— ٣ —

« إن من كان مثلي مدفوعاً بشوق غريب للتأمل في مذهب التشاؤم إلى أقصى حد ، قد يكون — من حيث لا يريد بذاته — فاتحاً عينه على المثل الأعلى للرجل الحي الطروب المبتهج بالحياة الذي لم يتعلم أن يتحمل الماضي والحاضر فحسب ، بل يعمل على إحيائهما معاً ، مهما كان الماضي ومهما ذهب المستقبل . » ولعل هذا التشاؤم المبطن عمقه بالتفاؤل هو الذي حدا بنيتشه إلى أن يطلب الحياة لنفسه ، ولهذه الرواية الانسانية الشاملة الكاملة ، وللوجود الذي يقوم بتمثيل هذه الرواية

في شهر أغسطس من عام ١٨٨١ هبت في رأس نيتشه فكرة القول بالرجعة الخالدة التي أصبحت أساس فلسفة السوبرمان ، وما لبثت هذه الفكرة أن ملكت عليه مشاعره كلها . وقد تتلخص هذه الفكرة في هذه الكلمة : إن شحنة القوى التي تهيمن على الـ تتراءى لنا ثابتة سرمدية ؛ لا نقدر على أن نفترض لها نفـ لأنها لو كانت كذلك لوجب زوالها في هذا الدهر الطويل ولا نقدر على أن نفترض لها نمواً — كالنمو العضوي الذي نعرفه إذ لو كانت كذلك لافتقر نموها إلى غذاء ؛ وما هو هذا الغذ أو هذا الوقود ؟ وعلى هذا لم يبق لدينا إلا الاعتقاد برسوخ هـ القوى وثباتها

(يتبع)

خليل هنداوي

القهوة الجيدة

ليس البن مادة من مواد الترف ، ولا صنفا من الأصناف الكمالية الزائدة على الحاجة ، وإنما هو شيء من الأشياء الضرورية التي لا يجد الإنسان عنها محيصا ، واذا كان الافراط في تعاطي القهوة يؤثر تأثيرا سيئا على ذوي البنية الضعيفة ، فان الاعتدال فيها هو على عكس ذلك لازم لسلامة المزاج وصحة الجسم

إنك حين تتعاطى فنجالا من القهوة تحس كأنك ولدت من جديد ، تشعر أن طاقتك التي زادت أضعافاً مضاعفة تستطيع أن تتغلب على كل متاعبك ، وأن تذهب عنك الضجر فلا تفكر إلا في مسرات الحياة وملذات العيش

إن فنجالا ساخناً من هذا الشراب المفيد إذا أعد اعدادا متقنا يريح البصر ويقوي الشهية ويبعث في الجسم شعورا بالنشطة يقدره الغني كما يقدره الفقير . ولكن القهوة لا تقدم اليك هذه المنافع إلا إذا كانت من بن جيد النوع غير مخلوط بالحمص المقلي والقش المحمص ، وأشهر أنواع البن في العالم من غير نزاع هو بن البرازيل ، لأنه مزدوع على القواعد العلمية ، وتحميصه وطحنه في القاهرة يجري على أحدث الطرق الفنية في مخازن البن البرازيلي في شارع فؤاد الأول ، ففي هذه المخازن الوحيدة تجد في كل وقت البن البرازيلي الحقيقي محمصا ومطحونا من أجود نوع وبأسعار معقولة جدا